From the Vocabulary of the Use of the Holy Quran for the Beautiful Names of God Almighty

Assist. Prof. Dr. Mahmoud Suleiman Aliwi Al-Subaihi
University of Fallujah / College of Islamic Sciences- Department of Arabic Language
dr.mahmoud.sulaiman@uofallujah.edu.iq

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v2i143.3880

Abstract

The study investigates and takes into consideration the names of God Almighty in terms of altruism in them or in the formulas that came in accordance with them or in the introduction and delay in them or in the repetition of those names or in the denial of some of them and the definition of others, benefiting from the books of the sciences of the Qur'an and interpretation. What the researcher has reached is that context plays a key role in all of this, with many other goals such as exaggeration and an indication of the specialization of some names in the Divine Essence, and other causes and goals mentioned in the folds of this research.

Keywords: Expression, Quran, Noun

من دقائق استعمال القرآن الكريم لأسماء الله تعالى الحسنى

أ.م.د محمود سليمان عليوي الصبيحي
جامعة الفلوجة/ كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية

(مُلَخَّصُ البَحث)

يذكر في هذا البحث النظر في أسماء الله تعالى الحسنى من حيث الإيثار فيها أو في الصيغ التي جاءت على وفقها أو في التقديم والتأخير الواقع فيها أو في تكرار تلك الأسماء أو في تنكير بعضها وتعريف بعضها الآخر مستفيداً من كتب علوم القرآن والتفسير ومما توصل إليه الباحث أن للسياق دوراً أساسياً في كل ذلك مع غايات أخرى عديدة كالمبالغة والتكثير والدلالة على اختصاص بعض الأسماء بالذات الإلهية وغير ذلك من العلل والغايات المذكورة في ثنايا هذا البحث.

الكلمات المفتاحية:- تعبير ، قرآن، اسم .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد, سيد الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين أما بعد.

فإن مما يحقق الغاية الأسمى في فهم كلام الله تعالى هو التدبر فيه والنظر في اختياراته والتأمل في بلاغته, وفي هذا البحث المتواضع اقتصر الجهد على النظر في أسماء الله تعالى الحسنى محاولاً البحث في بعض العلل المتعلقة بتلك الأسماء الحسنى من حيث إيثار بعضها على بعض أو الإيثار في الصيغ التي جاءت على وفقها تلك الأسماء,أو في تقديم بعض تلك الأسماء على بعض أو في التكرار الوارد فيها أو في تنكير بعضها وتعريف بعضها الآخر,ولم تكن غاية هذا البحث الاستقصاء وإنما إيراد أمثلة من كل تلك المطالب بما يحقق الغاية وهي التدبر في جزء يسير من أجزاء كلام الله تعالى وهذا الجزء كقطرة من بحر علم الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى:﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾(سورة الكهف:109)ولقوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(سورة القمان:27) وقد أفدنا في هذا البحث من كتب التفسير المختلفة وكتب علوم القرآن راجين الله سبحانه وتعالى أن نكون قد قدمنا شيئاً يسيراً في خدمة كتابه العزيز سائلينه عز وجل أن يوفقنا للصواب.

المطلب الأول: علل الإيثار في أسماء الله تعالى الحسنى:

من ذلك ايثار اسم الله تعالى (الرحمن) في قوله تعالى:﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾(سورة مريم:19)وذلك للمبالغة في الاستعاذة واستجلاب آثار الرحمة جاء في روح البيان: " ذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها قال في الكشاف دل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة" (التونسي،1984م،ص 81).

وقيل إنها ذكرت الرحمن لزجره أو لتذكيره بالرحمة فيرحم ضعفها قال الشهاب: "قوله: (بالرحمن) قيل: خصته تذكيرا له بالجزاء لينزجر فإنه يقال يا رحمن الآخرة وليس بشيء لأنه ورد رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما كما مر بل طلبت تذكيره بالرحمة ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه"(اقليما ،1997م،ص5).

وفرق بعضهم بين استعاذة مريم (عليها السلام) إذ استعاذت بالرحمن وبين استعاذة سيدنا موسى (عليه السلام) إذ استعاذ بالله في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة البقرة:67)لاختلاف المقام جاء في التعبير القرآني:" فقد استعاذت بالرحمن

ليرحمها ويقيها السوء ولم تقل:" أعوذ بالله " كما فعل موسى حين قال لقومه:﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة البقرة:67) وذلك أن السياق في البقرة سياق عقوبة ومسخ وتنكيل ولا تناسب الرحمة ذاك." (السامرائي،1986م –1987م،ص 249) وعلى كل حال فإن اختيار (الرحمن) في آية مريم أنسب بالمقام من وجوه عدة منها أن الضعيف يلتجأ إلى من يرحمه ويحميه وأنها(مريم) (عليها السلام) ذكرت الملك بصفة الرحمة وغير ذلك من الوجوه.

ومن ذلك ايثار التعبير بـ(الرحمن) في قوله تعالى:
﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (سورة يس:11) وذلك لدفع الاتكال على صفة الرحمة قال الرازي: "وَقَوْلُهُ: وَخَشِيَ الرَّحْمنَ فِيهِ لَطِيفَةٌ وَهِيَ أَنَّ الرَّحْمَةَ تُورِثُ الِاتِّكَالَ وَالرَّجَاءَ فَقَالَ مَعَ أَنَّهُ رَحْمَنٌ وَرَحِيمٌ فَالْعَاقِلُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتْرُكَ الْخَشْيَةَ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَتْ نِعْمَتُهُ بِسَبَبِ رَحْمَتِهِ أَكْثَرَ فَالْخَوْفُ مِنْهُ أَتَمُّ مَخَافَةَ أَنْ يقطع عنه النعم المتواترة " (الرازي،2000م، ص257).

وذهب الشهاب الخفاجي إلى أن إيثار الرحمن لدفع الاغترار بالرحمة مع أن السياق قد يبدو في ظاهره أن الأنسب به إيثار القهار إذ قال: "وقوله ولا يغتر برحمته إشارة إلى وجه التعبير بالرحمن هنا دون القهار مع أنه قد يتوهم أنه المناسب للمقام."(المظهري،1992م،ص74)(الالوسي،1995م،ص390) .

ويذهب أبو العباس الفاسي إلى أن إيثار الرحمن فيه ثناء على الخاشي إذ مع علمه بسعة رحمته فإنه يخافه إذ قال: "والتعرُّض لعنوان الرحمن للثناء البليغ على الخاشي، حيث خشيَه مع علمه بسعة رحمته، فلم يصدهم علمهم بسعة رحمته عن خوفه تعالى" (الصوفي،1999م،ص456). ولعل ما ذهب إليه أبو العباس الفاسي ألطف وأنسب للمقام مما ذهب إليه غيره.

ومن ذلك ايثار (العزيز الحكيم) على (الغفور الرحيم) في قوله تعالى:﴿ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة المائدة:118) مع أن السياق قد يوهم أن الوصفين الأخيرين أنسب بالمقام وذلك إما تفويضاً للأمر إلى الله تعالى وأنه ليس من باب طلب المغفرة والرحمة قال السمعاني: "وَقَالَ أهل الْمعَانِي من أَرْبَاب النَّحْو: لَيْسَ هَذَا على وَجه طلب الْمَغْفِرَة، وَإِنَّمَا هَذَا على تَسْلِيم الْأَمر إِلَيْهِ، وتفويضه إِلَى مُرَاده؛ أَلا ترَاهُ يَقُول: " فَإِنَّك أَنْت الْعَزِيز الْحَكِيم " وَلَو كَانَ على وَجه طلب الْمَغْفِرَة لقَالَ:" فَإِنَّك أَنْت الغفور الرَّحِيم" (السمعاني، 1997م، ص83)(القرطبي،2003م، ص378).وإما لإظهار قدرة الله تعالى قال الشهاب: "وقوله: لا عجز ولا استقباح فإن كونه عزيزا غالبا ينفي العجز، وكونه حكيما ينفي استقباح فعله، ولذا قيل ليس قوله: إن تغفر لهم تعريضا بسؤاله العفو عنهم، وإنما هو لإظهار قدرته على ما يريد وعلى مقتضى حكمه وحكمته، ولذا قال إنك أنت العزيز الحكيم تنبيها على أنه لا امتناع لأحد عن عزته فلا

اعتراض في حكمه وحكمته، ولم يقل الغفور الرحيم، وإن اقتضاهما الظاهر"*. ولعل ما ذهب إليه السمعاني أوفق بالمقام.ومن ذلك ايثار (العليم) على (الحكيم) في قوله تعالى:﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (سورة غافر:2) لأن علم البليغ بالأشياء يجعله حكيماً وناطقاً بالحكمة قال الآلوسي: " فإن شاء البليغ علمه بالأشياء أن يكون حكيما إلا أنه قيل الْعَلِيمِ دون الحكيم تفننا" (الالوسي،1995م، ص295). ومن ذلك إيثار التعبير بـ(العليم) مع (الحكيم) في قوله تعالى:

﴿هُوَالَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(سورة الفتح: 4) وبـ(العزيز) مع (الحكيم) في قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (سورة الفتح: 7)لأن من جند الله من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب ولعلم الله بضعف المؤمنين آثر العليم في الآية الأولى ولما بالغ في وصف عذاب الكفار والمنافقين وشدته آثر العزيز في الآية الثانية قال الخازن: " قال في الآية الأولى: (وكان الله عليماً حكيماً (وقال في هذه الآية) وكان الله عزيزاً حكيماً (فما معناه؟ قلت: لما كان في جنود السموات والأرض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين , ناسب أن تكون خاتمة الآية الأولى (وكان الله عليماً حكيماً), ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته, ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية (وكان الله عزيزاً حكيماً" (البغدادي،1979م، ص190).وقيل أن الآية الأولى وردت في سياق تدبير أمر المخلوقات فناسب التعبير بالعليم معها, والثانية وردت في سياق التهديد فناسب التعبير بالعزيز معها قال الآلوسي:" وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ذكر سابقا على أن المراد أنه عز وجل المدبر لأمر المخلوقات بمقتضى حكمته فلذلك ذيل بقوله تعالى: عَلِيماً حَكِيماً وهاهنا أريد به التهديد بأنهم في قبضة قدرة المنتقم ولذا ذيل بقوله تعالى: وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً فلا تكرار كما قال الشهاب، وقيل: إن الجنود جنود رحمة وجنود عذاب، والمراد به هنا الثاني كما ينبىء عنه التعرض لوصف العزة." (الالوسي،1995م،ص249).

ومن ذلك ايثار (الكريم) على (المنتقم) أو (القهار) في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (سورة الانفطار: 6) مع أنه خلاف الظاهر لأن محض الكرم لا يمنع مجازاة الجاني قال الشهاب:"قوله: (وذكر الكريم الخ) جواب عما يتوهم من أنّ التوصيف هنا بالكرم غير ملائم للمقام إذ الظاهر الوصف بما يمنع الغرور كالانتقام، والقهر بأنّ هذا أبلغ لأنّ محض الكرم لا يمنع مجازاة الجاني ولا يقتضي إهماله بل ينافيه وإنما المقتضى له الجهل أو العجز " (الجوزي،2001، 411/4) (الرازي،2000م ،ص74)(الالوسي،1995م،ص249).

ومن ذلك إيثار بـ(تواباً) على (غفار) في قوله تعالى:﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (سورة النصر: 3) للإشارة إلى أن الاستغفار لا ينفع إلا مع التوبة والندم قال

الماتريدي:" ثم قال: (تَوَّابًا)، ولم يقل: "غفارًا "، وحق مثله من الكلام أن يقال: " إنه كان غفار"؛ كما قال في آية أخرى: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا)، ولكن المعنى فيه عندنا: أن المراد من الاستغفار ليس قوله: " أستغفر اللَّه"، ولكن أن يتوب إليه، ويطلب منه المغفرة بالتوبة؛ (إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا). ويجوز أن يكون فيه إضمار؛ كأنه قال:"واستغفره، وتب إليه؛ إنه كان توابا"(الماتريدي،2005م،ص637)(الرازي,2000م،ص341).

ومن ذلك التعبير (أحد) على (واحد) في قوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (سورة الاخلاص: 1) وذلك لأن الواحد يدخل في الأحد ولا عكس, والنفي بالواحد لا يقتضي الاستغراق, بينما النفي بالأحد يقتضي ذلك, والواحد يستعمل في الإثبات والأحد يستعمل في النفي قال الرازي:" ثُمَّ ذَكَرُوا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْأَحَدِ وُجُوهًا أَحَدُهَا: أَنَّ الْوَاحِدَ يَدْخُلُ فِي الْأَحَدِ وَالْأَحَدُ لَا يَدْخُلُ فِيهِ وَثَانِيهَا: أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: فُلَانٌ لَا يُقَاوِمُهُ وَاحِدٌ، جَازَ أَنْ يُقَالَ: لَكِنَّهُ يُقَاوِمُهُ اثْنَانِ بِخِلَافِ الْأَحَدِ، فَإِنَّكَ لَوْ قُلْتَ: فُلَانٌ لَا يُقَاوِمُهُ أَحَدٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: لَكِنَّهُ يُقَاوِمُهُ اثْنَانِ/ وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْوَاحِدَ يُسْتَعْمَلُ فِي الْإِثْبَاتِ وَالْأَحَدَ فِي النَّفْيِ، تَقُولُ فِي الْإِثْبَاتِ رَأَيْتُ رَجُلًا وَاحِدًا وَتَقُولُ فِي النَّفْيِ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا فَيُفِيدُ الْعُمُومَ" (الرازي،2000م، ص360).وفرق بعضهم بين الأحدية والواحدية بأن الأولى بتفرد الذات والثانية بتفرد الصفات قال الشهاب في حاشيته:" وقد فرق بينهما بأنّ الأحدية تفرد الذات، والواحدية تفرد الصفات" *. وقد قيل أن الأحد للحي العاقل أو من يصح خطابه, وما لم يضف فهو له (الحي العاقل) ففيه معنى الحياة والعلم ويلزم (الأحد) الافراد والتذكير, وأن أضيف فهو بحسب ما يضاف إليه, والأحد يدخل فيه الواحد, و(الأحد) صفة مشبه و(واحد) اسم فاعل فأحد أدل على الثبوت من واحد والواحد تزول وحدانيته مع غيره, فقد جمع الله لنفسه الوحدانية والأحدية وأحد الواقعة في الاثبات من دون شرط ولا نفي لا تطلق إلا على الله تعالى (السامرائي،2004م، ص60).

المطلب الثاني : علل الإيثار في صيغ أسماء الله تعالى الحسنى:-

أولاً: فعلان: وردت هذه الصيغة في اسم الله تعالى (الرحمن) في مثل قوله تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(سورة الفاتحة: 2) وقيل إن هذه الصيغ أبلغ من صيغة فعيل لأنها دالة على الامتلاء, ولأن زيادة المعنى تدل على زيادة المبنى قال الزمخشري:" والرَّحْمنِ فعلان من رحم، كغضبان وسكران، من غضب وسكر، وكذلك الرحيم فعيل منه، كمريض وسقيم، من مرض وسقم، وفي الرَّحْمنِ من المبالغة ما ليس في الرَّحِيمِ،ولذلك قالوا: رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، ويقولون: إنّ الزيادة في البناء لزيادة المعنى. وقال الزجاج في الغضبان: هو الممتلئ غضبا"*.

وذهب النسفي إلى أن (رحمن) أبلغ لأن فيه زيادتي(الألف والنون) في حين أن في (رحيم) زيادة واحدة وهي الياء, إذ قال:" وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم لأن في الرحيم زيادة واحدة وفي الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى") النسفي،2005م, ص28). وذهب أبو حيان إلى أن في كل من الرحمن والرحيم مبالغة ولذلك جمع بينهما لكن جهة المبالغة مختلفة, فمبالغة فعلان من حيث دلالته على الامتلاء والغلبة, ومبالغة فعيل من حيث دلالته على التكرار ووقوعه في محال الرحمة إذ قال:" الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قِيلَ دَلَالَتُهُمَا وَاحِدٌ نَحْوَ نَدْمَانَ وَنَدِيمٍ، وَقِيلَ مَعْنَاهُمَا مُخْتَلِفٌ، فَالرَّحْمَنُ أَكْثَرُ مُبَالَغَةً، وَكَانَ الْقِيَاسُ التَّرَقِّي، كَمَا تَقُولُ: عَالِمٌ نِحْرِيرٌ، وَشُجَاعٌ بَاسِلٌ، لَكِنْ أَرْدَفَ الرَّحْمَنَ الَّذِي يَتَنَاوَلُ جَلَائِلَ النِّعَمِ وَأُصُولَهَا بِالرَّحِيمِ لِيَكُونَ كَالتَّتِمَّةِ وَالرَّدِيفِ لِيَتَنَاوَلَ مَا دَقَّ مِنْهَا وَلَطُفَ، وَاخْتَارَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ. وَقِيلَ الرَّحِيمُ أَكْثَرُ مُبَالَغَةً، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ جِهَةَ الْمُبَالَغَةِ مُخْتَلِفَةٌ، فَلِذَلِكَ جَمَعَ بَيْنَهُمَا، فَلَا يَكُونُ مِنْ بَابِ التَّوْكِيدِ. فَمُبَالَغَةُ فَعْلَانَ مِثْلَ غَضْبَانَ وَسَكْرَانَ مِنْ حَيْثُ الِامْتِلَاءُ وَالْغَلَبَةُ، وَمُبَالَغَةُ فَعِيلٍ مِنْ حَيْثُ التَّكْرَارُ وَالْوُقُوعُ بِمَحَالِّ الرَّحْمَةِ، وَلِذَلِكَ لَا يَتَعَدَّى فَعْلَانُ، وَيَتَعَدَّى فَعِيلٌ. تَقُولُ زَيْدٌ رَحِيمُ الْمَسَاكِينِ كَمَا تَعَدَّى فَاعِلًا، قَالُوا زَيْدٌ حَفِيظُ عِلْمِكَ وَعِلْمِ غَيْرِكَ، حَكَاهُ ابْنُ سِيدَهْ عَنِ الْعَرَبِ. وَمَنْ رَأَى أَنَّهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى تَوْكِيدِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ، احْتَاجَ أَنَّهُ يَخُصُّ كُلَّ وَاحِدٍ بِشَيْءٍ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُ الْمَوْضُوعِ عِنْدَهُ وَاحِدًا لِيَخْرُجَ بِذَلِكَ عَنِ التَّأْكِيدِ، فَقَالَ مُجَاهِدٌ: رحمن الدُّنْيَا وَرَحِيمُ الْآخِرَةِ." (الاندلسي،2000م،ص31.(

ولعل ما ذهب إليه أبو حيان هو الأنسب لأنه أثبت لكل وصف مبالغة والجمع بين الوصفين يزيد في حسن هذه المبالغة, لأن وزن فعلان يدل على التجدد والحدوث ووزن فعيل يدل على الثبوت وهذا يعني أن وصف الله تعالى المتجدد والثابت هو الرحمة قال د. فاضل السامرائي:"فجاء بالوصفين للدلالة على أن صفته الثابتة والمتجددة، هي الرحمة للاحتياط في الوصف، فإنه لو وصف نفسه بأنه (رحيم) فقط لوقع في النفس أن هذا وصفه الثابت، ولكن قد يأتي وقت لا يرحم فيه كالكريم والخطيب، ولو قال: (رحمن) فقط لظُنَّ أن هذا وصفٌ غير ثابت،كالغضبان والعطشان وهذا الوصف يتحول فيذهب الغضب ويزول العطش، وكذلك الرحمة فجمع بينهما ليدل على أن وصفه الثابت والمتجدد هو الرحمة، فرحمته دائمة لا تنقطع، وهو من أحسن الجمع بين الوصفين، ولا يؤدي الوصف بأحدهما ما يؤدي اجتماعهما" (السامرائي،2003م،ص34).

ثانياً: فَعَّال :

الواردة في قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(سورة الانفال:51)وقوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(سورة الحج: 10) فالمبالغة في (ظلام) ليست في الوصف بل هي لنفي أصل الظلم لكن المبالغة جاءت من ملاحظة

جمع العبيد فالمبالغة في نفي وقوع الظلم على كل واحد منهم فهو ليس بظالم لفلان وفلان وفلان... قال الشهاب: "قوله: (وظلام للتكثير الخ) جواب ما قيل إنّ نفي نفس الظلم أبلغ من نفي كثرته ونفي الكثرة لا ينفي أصله بل ربما يشعر بوجوده، ورجوع النفي للقيد بأنه نفي لأصل الظلم، وكثرته باعتبار آحاد من ظلم كأنه قيل ظالم لفلان، ولفلان وهلمّ جزاً فلما جمع هؤلاء عدل إلى ظلام لذلك أي لكثرة الكمية فيه"*.

فلا يتوهم أن الصيغة نفت المبالغة في الفعل ولم تنف أصل الفعل فصيغة (فعال) منظور فيها إلى (العبيد) الذي هو جمع كثرة قال د. فاضل:" ما دلالة استخدام صيغة المبالغة في قوله تعالى (وما ربك بظلاّم للعبيد) علماً أن صيغ المبالغة لا تنفي الحدث؟ يتساءل السائل عن أن الآية تنفي أن يكون الله تعالى ظلاّماً فهل هذا النفي يشمل أن يكون ظالماً حاشاه سبحانه؟. الحقيقة أنه لو أن أي شخص ظلم مجموعة من الناس حتى لو كان الظلم بسيطاً يكون ظلاّماً وليس ظالماً فإذا كثر المظلومون أصبح ظلاّماً أما إذا ظلم شخصاً واحداً مرة فيكون ظالماً والملاحظ في الآية أن الله تعالى قال (وما ربك بظلاّم للعبيد) أي جاء بصيغة الجمع في كلمة (العبيد) والعبيد جمع كثرة أصلاً كما قال في آية أخرى (علاّم الغيوب) باستخدام (الغيوب) وهي جمع كثرة. إذن عندما يجمع الصفة ويبالغ بها أي يستخدم صيغة المبالغة كما في الآيتين وإذا أفرد يفرد الصيغة كما قال تعالى (عالم الغيب) ولم يقل عالم الغيوب. وهناك رأي آخر أن هذا هو النسب أي أنه ليس بذي ظلم كما يقال في اللغة (لبّان) للنسب لأن صيغة فعّال تأتي للنسب. وإذا أخذنا الرأيين نجد أنهما يقتضيان استخدام صيغة المبالغة في ظلاّم. وقد قلت سابقاً حول استخدام صيغة المبالغة (علاّم الغيوب) : أن (علاّم) تأتي لتفيد الكثرة مع كلمة (الغيوب) التي هي جمع ولم يقل تعالى (عالم) مع (الغيوب) ، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى (خالق بشراً) خالق لبشر واحد (تفيد الحدوث بالمخلوق) ولم يقل (خلاّق) إلا عندما اقتضى المبالغة في السموات والأرض (بلى وهو الخلاّق العليم) . فصفاته سبحانه كلها مطلقة وتدل على الثبوت مثل غافر الذنب، قابل التوب." (السامرائي،2003م، ص716).

ثالثاً: فعول:

آثر القرآن الكريم صيغة المبالغة (فعول) في (المغفرة) دون (الرحمة) في قوله تعالى:﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾(سورة الكهف: 58) لأن المغفرة ترك الإضرار, وأما الرحمة فهي إيصال النفع, وقدرة الله تعالى تتعلق بالأول دون الثاني قال الرازي:" وَإِنَّمَا ذُكِرَ لَفْظُ الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَغْفِرَةِ لَا فِي الرَّحْمَةِ، لِأَنَّ الْمَغْفِرَةَ تَرْكُ الْإِضْرَارِ وَهُوَ تَعَالَى قَدْ تَرَكَ مَضَارَّ لَا

نِهَايَةَ لَهَا مَعَ كَوْنِهِ قَادِرًا عَلَيْهَا، أَمَّا فِعْلُ الرَّحْمَةِ فَهُوَ مُتَنَاهٍ لِأَنَّ تَرْكَ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مُمْكِنٌ، أَمَّا فِعْلُ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فَمُحَالٌ" (الرازي،2000، ص476)(الالوسي،1995م، ص287).

وعلل أبو العباس الفاسي إيثار التعبير بصيغ المبالغة في المغفرة دون الرحمة وذلك لكثرة الذنوب, وأن المغفرة ترك المؤاخذة والرحمة فعل وهو متناهي إذ قال:" وإيراد المغفرة على جهة المبالغة دون الرحمة؛ للتنبيه على كثرة الذنوب، وأيضًا: المغفرة ترك المؤاخذة، وهي غير متناهية، والرحمة فعل، وهو متناهي" (الصوفي،1999م، ص245).

رابعاً: فعيل:

من ذلك إيثار (حكيم) على (حاكم) في مثل قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(سورة ال عمران: 6) للمبالغة مع موافقة العزيز في وزنه كما ذهب إلى ذلك صاحب اللباب إذ قال: " وإنما عَدَل عن لفظ " حاكم " إلى " حكيم "– مع زيادة المبالغة– ؛ لموافقة" الْعَزِيز"" (البقاعي،1995م،ص12). وذهب غيره _ولعله الأصوب_ إلى أن إيثار العزيز والحكيم للدلالة على القدرة في العزيز ومنتهى الحكمة في الحكيم قال الشهاب: "قوله: (إشارة إلى كمال قدرته الخ) لأنّ الغلبة تقتضي القدرة التامّة، وصيغة حكيم تقتضي تناهي الحكمة") الرازي،2000م،ص136)(الالوسي،1995م، ص77).

وقد يؤثر القرآن الكريم صيغة (فعيل) لما فيها من دلالات متنوعة كما في وصف القرآن الكريم المعبر عنه بالذكر بأنه حكيم في قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾(سورة ال عمران: 58) فالحكيم قد يكون بمعنى اسم الفاعل (الحاكم) أو بمعنى اسم المفعول المحكم أو أنه صاحب الحكمة أو أنه حكيم من باب الصفة المشبهة قال الرازي: "وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ فِيهِ قَوْلَانِ الْأَوَّلُ: الْمُرَادُ مِنْهُ الْقُرْآنُ وَفِي وَصْفِ الْقُرْآنِ بِكَوْنِهِ ذِكْرًا حَكِيمًا وُجُوهٌ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ بِمَعْنَى الْحَاكِمِ مِثْلُ الْقَدِيرِ وَالْعَلِيمِ، وَالْقُرْآنُ حَاكِمٌ بِمَعْنَى أَنَّ الْأَحْكَامَ تُسْتَفَادُ مِنْهُ وَالثَّانِي: مَعْنَاهُ ذُو الْحِكْمَةِ فِي تَأْلِيفِهِ وَنَظْمِهِ وَكَثْرَةِ عُلُومِهِ وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ بِمَعْنَى الْمُحْكَمِ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعَلٍ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَهُوَ شَائِعٌ فِي اللُّغَةِ، لِأَنَّ حَكَمْتُ يَجْرِي مَجْرَى أَحْكَمْتُ فِي الْمَعْنَى، فَرُدَّ إِلَى الْأَصْلِ، وَمَعْنَى الْمُحْكَمِ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ أُحْكِمَ عَنْ تَطَرُّقِ وُجُوهِ الْخَلَلِ إِلَيْهِ قَالَ تَعَالَى:﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ (سورة هود:1) وَالرَّابِعُ: أَنْ يُقَالَ الْقُرْآنُ لِكَثْرَةِ حِكَمِهِ إِنَّهُ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ، فَوُصِفَ بِكَوْنِهِ حَكِيمًا عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ.") الرازي،2000م, ص242) (النيسابوري،1996م، ص173).

وقد ذهب أبو حيان إلى عدم التسليم بأن (فعيلا) بمعنى (مفعل), وأنه نادر وشاذ وقليل وغير قياسي وأما (فعيل) المحول من فاعل فهو قياسي إذ قال:"فَالْجَوَابُ: إِنَّا لَا نُسَلِّمُ أَنَّ فَعِيلًا يَأْتِي بِمَعْنَى مُفْعِلٍ، وَقَدْ يُؤَوَّلُ: أَلِيمٌ وَسَمِيعٌ، عَلَى غَيْرِ مُفْعِلٍ، وَلَئِنْ سَلَّمْنَا ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ النُّدُورِ وَالشُّذُوذِ وَالْقِلَّةِ بِحَيْثُ لَا يَنْقَاسُ، وَأَمَّا فَعِيلٌ الْمُحَوَّلُ مِنْ فَاعِلٍ لِلْمُبَالَغَةِ فَهُوَ مُنْقَاسٌ كَثِيرٌ

جِدًّا"(الاندلسي،2000، ص69). واقتصر الشهاب على أن فعيلاً يكون بمعنى مفعل إذ قال:"قوله: (المشتمل على الحكم أو المحكم الخ) إن كان الحكيم بمعنى المحكم المتقن نظمه بناء على أنّ فعيلاً يكون بمعنى مفعل كما مرّ"*.

ولعل في ما ذهب إليه الرازي أغنى وأوسع للمعنى, فالقرآن الكريم حاكم على غيره ومحكم في نظمه ونسجه وذو حكمة للمتبصر فيه, وحكيم بصفة ثابتة دائمة أي أن حكمته ذاتية. وقد يكون (فعيل) مقتصر على (مفعول) وذلك في مثل قوله تعالى:﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾(سورة هود: 73) وربنا سبحانه وتعالى مستوجب للحمد فهو محمود على كل حال قال الشهاب: "قوله: (فاعل ما يستوجب به الحمد) فحميد فعيل بمعنى مفعول أي مستوجب للحمد مستحق له لما وهبه من جلائل النعم فلا يبعد أن يعطي الولد بعد الكبر، وهو تذييل حسن لبيان أنّ مقتضى حالها أن تحمد مستوجب الحمد المحسن إليها بما أحسن وتمجده إذ شرفها بما شرّف" (القرطبي،2003م،ص595).

وقد يؤثر القرآن الكريم (فعيلا) لما فيه من المبالغة أي أنه صار من صيغ المبالغة كما في (حفيا) من قوله تعالى:﴿ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾(سورة مريم: 47) قال الزمخشري:" الحفيّ : البليغ في البر والإلطاف، حفي به وتحفى به" (الخوارزمي، 2002م،ص23)(الرازي،2000م، ص424) .

وقد تكون المبالغة في (فعيل) إما للتعظيم أو للتكثير كما في (رحيم) في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (سورة هود:91) قال الشهاب:"قوله: (عظيم الرحمة للتائبين الخ) العظيم مأخوذ من صيغة المبالغة، ولم يفسره بكثير الرحمة باعتبار المرحومين أو أنواع الرحمة لأنّ هذا أبلغ إذ عظم الرحمة لكل أحد منهم مستلزم للكثرة "*.

والياء في صيغة (فعيل) هي من أصل الصيغة وليست إشباعاً للكسرة كما في (مليك) من قوله تعالى:﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (سورة القمر: 55) قال الآلوسي:"عِنْدَ مَلِيكٍ أي ملك عظيم الملك، وهو صيغة مبالغة وليست الياء من الإشباع" (الالوسي،1995م،ص95).

خامساً: فعّول:

وهذه من صيغ المبالغة ووردت في قوله تعالى:﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ (سورة الحشر: 23)فإيثار (قدوس) للمبالغة بالنزاهة عن كل نقص وعيب جاء في روح البيان:"الْقُدُّوسُ هو من صيغ المبالغة من القدس وهو النزاهة والطهارة أي البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا ما وعن كل عيب" (الالوسي،1995م،ص256).

سادساً: فَعيول: استعمل القرآن الكريم هذه الصيغة للمبالغة في القيام الذي هو بمعنى التدبير وذلك في قوله تعالى:﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾(سورة البقرة: 255) قال ابن عطية:" وقيوم

بناء مبالغة أي هو القائم على كل أمر بما يجب له" (الاندلسي،1993م،ص334)(النيسابوري،2002م، ص113))الثعلبي،2002م،ص230 .(

المطلب الثالث: علل تقديم بعض أسماء الله تعالى الحسنى على بعض

من ذلك تقديم (العزيز) على (الغفار) في قوله تعالى:﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾(سورة غافر: 42) لأن العزيز فيه معنى التمكن والقدرة والغفار فيه معنى العفو, والعفو إنما يمدح بعد التمكن والقدرة من لوازمه قال الشهاب:" قوله: (والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب(معطوف على كمال القدرة، وهو تفسير للغفار على وجه يتضمن وجه تأخيره عن العزيز ومناسبته التامّة فإن العفو إنما يمدح به بعد القدرة فالتمكن، والقدرة من لوازمه"*.

ومن ذلك تقديم (الرحمن) على (الرحيم) في قوله تعالى:﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ (سورة الفاتحة: 3)مع أنه أبلغ من حيث الصيغة وفيه خلاف الترقي من الأدنى إلى الأعلى قيل لأن الرحمن متعلق بجلائل النعم والرحيم بدقائقها قال الزمخشري:" فإن قلت: فلم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه، والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم: فلان عالم نحرير، وشجاع باسل، وجودا فياض؟ قلت: لما قال الرَّحْمنِ فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، أردفه الرَّحِيمِ كالتتمة والرديف ليتناول ما دقّ منها ولطف." (النيسابوري،1995م، ص58).

وذهب الآلوسي إلى أن تقديم الرحمن لتقدم رحمة الدنيا أو لأنه صار كالعلم لله تعالى إذ قال:" وإنما قدم الرحمن والقياس يقتضي الترقي لتقدم رحمة الدنيا ولأنه صار كالعلم من حيث إنه لا يوصف به غيره لأن معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره" (الالوسي، 1995م، ص61).ومن ذلك تقديم (خبير) على (بصير) في قوله تعالى:﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (سورة الاسراء:17) إما لتقدم متعلق الخبير من الاعتقادات والنيات فالتقديم وجودي, وإما أن التقديم رتبي لأن العبرة بما في القلوب قال الآلوسي:" وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادئ الأعمال الظاهرة تقدما وجوديا، وقيل تقدما رتبيا لأن العبرة بما في القلب"(الالوسي،1995م،ص43)(التونسي،1984م، ص57).

ومن ذلك تقديم (الرؤوف) على (الرحيم) حيثما وردا في القرآن الكريم كما في قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(سورة البقرة: 143) وذلك لأن الرؤوف أبلغ من الرحيم لأن الرؤوف فيه شدة الرحمة وهو يتضمن الرحيم وزيادة قال الشهاب: "وقوله: وهو أبلغ هو بناء على تفسير الرأفة بأشد الرحمة وحينئذ المناسب رحيم رؤوف وفيه نظر من وجهين الأوّل أنّ فواصل القرآن لا يلاحظ فيها الحرف الأخير كالسجع كما هنا في رحيم وتعملون فذلك حال على كل حاصل. الثاني أنّ الرأفة حيث وردت في

القرآن قدّمت ولو في غير الفواصل كما في قوله تعالى:﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ (سورة الحديد: 27) في وسط الآية والذي غره كلام الجوهريّ،وهو عندي ليس بصواب فأن الرأفة معناها الشفقة واللطف والرحمة الإنعام ورتبتها التقديم كما قيل: الإيناس قبل الإبساس*، وعليه استعمال العرب" (الصوفي،1999م، ص445)(الالوسي،1995م، ص49).

ومن ذلك تقديم (رحيم) على (ودود) في قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (سورة هود:90) فلعل الرحيم منظور فيه إلى الأمر بالاستغفار لأن الله تعالى من كرمه أنه يرحم من يطلب منه المغفرة ولعل الودود منظور فيه إلى التوبة للترغيب في أنه يود من يتوب إليه قال الشهاب:" وقيل رحيم ناظر إلى الاستغفار لأنه لكرمه يرحم من يطلب منه المغفرة، وودود ناظر إلى التوبة ترغيبا بأنه يودّ من يرجع إليه" (اليمني،1994م، ص520)(القنوجي،1992م، ص234).

من ذلك تقديم اسم الله تعالى (العزيز) على (الرحيم) في قوله تعالى:﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ لأنه أنسب بما قبله من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى قال الآلوسي:" وتقديم العزيز لأن ما قبله أظهر في بيان القدرة أو لأنه أدل على دفع المضار الذي هو أهم من جلب المصالح." (الالوسي،1995م،ص63).

ومن ذلك تقديم ما يدل على الوعيد من أسماء الله تعالى (القهار والعزيز) على ما يدل على الوعد أو المغفرة(الغفار) في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ *رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (سورة ص: 65-66) فجاء في الوعيد باسمين دالين على ذلك وهما (القهار) و(العزيز) وجاء في الوعد أو المغفرة باسم واحد دال على ذلك وهو(الغفار) لأن المقام مقام إنذار ووعيد قال الشهاب: "قوله: (وتثنية ما يشعر بالوعيد) أي تكريره، وهو القهار العزيز وتقديم القهار على غيره مما وصف به الله الواحد لأنّ المقام مقام إنذار فناسب الاهتمام به فقدم وكرر"*.

المطلب الرابع : التكرار في أسماء الله تعالى الحسنى

من ذلك تكرار (الرحمن الرحيم) في الفاتحة الوارد في البسملة وفي قوله تعالى:﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ (سورة الفاتحة: 3) قيل أنه سبحانه وتعالى مستوجب للحمد لأنه الرحمن, وقيل أن الرحمة في الإنعام على المحتاج ففي البسملة ذكر المنعم دون المنعم عليه وفي الثانية ذكر المنعم عليه في (رب العالمين) قال الكرماني: "وَقَالَ قَاسم بن حبيب إِنَّمَا كرر لِأَن الْمَعْنى وَجب الْحَمد لله لِأَنَّهُ الرَّحْمَن الرَّحِيم قلت إِنَّمَا كرر لِأَن الرَّحْمَة هِيَ الإنعام على الْمُحْتَاج وَذكر فِي الْآيَة الأولى الْمُنعم وَلم يذكر الْمُنعم عَلَيْهِم فَأَعَادَهَا مَعَ ذكرهم وَقَالَ {رب الْعَالمين الرَّحْمَن} لَهُم جَمِيعًا ينعم عَلَيْهِم ويرزقهم {الرَّحِيم} بِالْمُؤْمِنِينَ خَاصَّة يَوْم الدّين ينعم عَلَيْهِم وَيغْفر لَهُم"(الانصاري،1983م،ص9)(الفيروزآبادى،1996م،ص88).

وقيل إنه كرر ليقول للعبد أذكر أني إله رب مرة ورحيم مرتين للعناية بالرحمة قال الرازي:" كَأَنَّهُ قِيلَ: اذْكُرْ أَنِّي إِلَهٌ وَرَبٌّ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَاذْكُرْ أَنِّي رَحْمَنٌ رَحِيمٌ مَرَّتَيْنِ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْعِنَايَةَ بِالرَّحْمَةِ أَكْثَرُ مِنْهَا بِسَائِرِ الْأُمُورِ"*.ومن ذلك تكرار ذكر اسم الجلال الله تعالى باسمه أو بوصفه (الرحمن) في قوله تعالى:﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ (سورة الاسراء: 110) وذلك بحسب سبب النزول* إما أن المراد التسوية بين اللفظين وإما لأنهما (الله, الرحمن) سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود قال البيضاوي:"نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول: يا الله يا رحمن فقالوا إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر. وقالت اليهود: إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله في التوراة، والمراد على الأول هو التسوية بين اللفظين بأنهما يطلقان على ذات واحدة وإن اختلف اعتبار إطلاقهما، والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود المطلق وعلى الثاني أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود وهو أجود لقوله: أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى".

المطلب الخامس: التنكير والتعريف في أسماء الله تعالى الحسنى

من ذلك تنكير (أحد) وتعريف (الصمد) في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ الأَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾(سورة الاخلاص: 1-2) أما (أحد) فقيل أنه نكر للتعظيم ولأنه دال على الذات المقدسة التي لا يمكن تعريفها والإحاطة بها, أو لأنه لا تدخل عليه أل التعريف كغير وبعض وكل, أما (الصمد) فقيل إنه عرف للحصر المستفاد من قوله تعالى: {هو الله} قال السيوطي:"فَائِدَةٌ سُئِلَ عَنْ الْحِكْمَةِ فِي تَنْكِيرِ أَحَدٌ وَتَعْرِيفِ الصَّمَدُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ} وَأَلَّفْتُ فِي جَوَابِهِ تَأْلِيفًا مُودَعًا فِي الْفَتَاوَى وَحَاصِلُهُ أَنَّ فِي ذَلِكَ أَجْوِبَةً: أَحَدُهَا: أَنَّهُ نُكِّرَ لِلتَّعْظِيمِ وَالْإِشَارَةُ إلَى أَنَّ مَدْلُولَهُ – وَهُوَ الذَّاتُ الْمُقَدَّسَةُ – غَيْرُ مُمْكِنٍ تَعْرِيفُهَا وَالْإِحَاطَةُ بِهَا.

الثَّانِي: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إدْخَالُ أَلْ عَلَيْهِ كَغَيْرِ وَكُلِّ وَبَعْضٍ وَهُوَ فَاسِدٌ فَقَدْ قُرِئَ شاذا: {قُلْ هُوَ اللَّهُ الأَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ} حَكَى هَذِهِ الْقِرَاءَةَ أَبُو حَاتِمٍ فِي كِتَابِ الزِّينَةِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ. الثَّالِثُ: وَهُوَ مِمَّا خَطَرَ لِي أَنَّ هُوَ مبتدأ والله خَبَرٌ وَكِلَاهُمَا مَعْرِفَةٌ فَاقْتَضَى الْحَصْرَ فَعُرِفَ الْجُزْآنِ فِي" اللَّهُ الصَّمَدُ " لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ لِيُطَابِقَ الْجُمْلَةَ الْأُولَى وَاسْتُغْنِيَ عَنْ تَعْرِيفِ " أَحَدٌ " فِيهَا لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ دُونَهُ فَأُتِيَ بِهِ عَلَى أَصْلِهِ مِنَ التَّنْكِيرِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ ثَانٍ وَإِنْ جُعِلَ الاسم الكريم مبتدأ وأحد خَبَرَهُ فَفِيهِ مِنْ ضَمِيرِ الشَّأْنِ مَا فِيهِ مِنَ التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ فَأَتَى بِالْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى نَحْوِ الْأُولَى بِتَعْرِيفِ الْجُزْأَيْنِ لِلْحَصْرِ تَفْخِيمًا وَتَعْظِيمًا"(السيوطي،1974م، ص450).

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة المباركة مع نصوص من كتاب الله تعالى التي تأسر النفوس في حسن بلاغتها خلصنا إلى ما يأتي:

1. إن التأمل في كل لفظ أو كلمة في كتاب الله تعالى يقود إلى تحقيق التدبر فيه.
2. إن القرآن الكريم يؤثر بعض أسماء الله تعالى الحسنى لغايات عديدة لعل أهمها ما يتعلق بالسياق.
3. إن مجيئ أسماء الله تعالى الحسنى في صيغ مختلفة يحقق معاني عديدة منها المبالغة والتكثير والتجدد والثبوت وما إلى ذلك.
4. إن تقديم بعض أسماء الله تعالى الحسنى على بعض قد يراعى فيه السياق مع غايات أخرى.
5. التكرار في أسماء الله تعالى الحسنى للمبالغة والزيادة والتكثير في المعنى الذي تؤديه تلك الأسماء.
6. التنكير في بعض أسماء الله تعالى الحسنى قد يكون للإشارة إلى أن بعض تلك الأسماء خاص بالذات الإلهية مما لا يمكن الإحاطة بكنهها, وهو مما لا يمكن الإحاطة بها, وأما التعريف فقد يكون للحصر.

وأخيراً نرجو الله تعالى أن نكون قد وفقنا في عرض مادة هذا البحث وأن ينتفع به كاتبه وقارئه, وعلى الله قصد السبيل.

المصادر

القرآن الكريم.

- أبو جعفر ، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل, أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، (ت: 708هـ), وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي, دار الكتب العلمية، بيروت, لبنان.
- ابو علي ، (1993م)، الحجة للقراء السبعة, الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل،(ت: 377هـ), تحقيق: بدر الدين قهوجي, بشير جويجابي, عبد العزيز رباح, أحمد يوسف الدقاق, ط2، دار المأمون للتراث, دمشق, بيروت.
- اقليما ، (1997م)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد, محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (ت: 1316هـ), تحقيق: محمد أمين الصناوي, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت.
- الألوسي ، (1995)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ), تحقيق: علي عبد الباري عطية, ط1،دار الكتب العلمية, بيروت.

- الأندلسي ،(2000م) البحر المحيط في التفسير, أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت: 745هـ), تحقيق: صدقي محمد جميل, دار الفكر, بيروت.
- البغدادي ، (1980م)، السبعة في القراءات, أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد (ت: 324هـ), شوقي ضيف, ط2، دار المعارف, مصر.
- البغدادي، (1979م)، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل, علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن, دار الفكر, بيروت, لبنان.
- البقاعي ،(1995م)،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور, إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: 885هـ), تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي, دار الكتب العلمية, بيروت.
- التونسي ، (1984م)، التحرير والتنوير, محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت:1393هـ), الدار التونسية, تونس.
- الثعلبي ، (2002م)،الكشف والبيان عن تفسير القرآن, أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو إسحاق (ت: 427هـ), تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور, الأستاذ نظير الساعدي, ط1, دار إحياء التراث العربي، بيروت, لبنان.
- الجوزي،(2001) ، زاد المسير في علم التفسير, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ), تحقيق:عبد الرزاق المهدي, ط1, دار الكتاب العربي, بيروت.
- الخلوتي ، روح البيان, إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي, المولى أبو الفداء (ت: 1127هـ), دار الفكر, بيروت.
- الخوارزمي ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ)،تحقيق: عبد الرزاق المهدي, دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الرازي ، (2000م)، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير, أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ), دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط3.
- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن, محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار المعرفة, بيروت.
- الزيات ،إبراهيم مصطفى أحمد, عبد القادر ، حامد, النجار ، محمد، المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية بالقاهرة, دار الدعوة.
- السامرائي ، (2004م)، على طريق التفسير البياني, الدكتور فاضل, كلية الآداب والعلوم, جامعة الشارقة.
- السامرائي ،(2003م) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل, فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري, ط3، دار عمار ، عمان, الأردن.
- السمرقندي ، تفسير السمرقندي، بحر العلوم, أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: 373هـ), تحقيق: د. محمود مطرجي, دار الفكر – بيروت.

- السمعاني ، (1997م)، تفسير السمعاني، تفسير القرآن, أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ), تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم, ط1, دار الوطن، الرياض, السعودية.
- السنيكي ،(1983م)،فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن, زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى (ت: 926هـ), تحقيق: محمد علي الصابوني, ط1،دار القرآن الكريم، بيروت, لبنان.
- السيوطي ،(1974م) الإتقان في علوم القرآن, عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ), تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الشعراوي ، تفسير الشعراوي – الخواطر, محمد متولي (ت: 1418هـ),مطابع أخبار اليوم.
- الصوفي، (1999م)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد, أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: 1224هـ), تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان, الدكتور حسن عباس زكي, القاهرة.
- الفيروزآبادى ،(1996م)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز, مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ), تحقيق: محمد علي النجار, لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- القرطبي ،(2003م)، الجامع لأحكام القرآن, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ), تحقيق: هشام سمير البخاري, دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية,.
- القِنَّوجي ،(1992م)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن, أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت: 1307هـ),المَكتبة العصريَّة، صَيدَا, بَيروت.
- الماتريدي ،(2005م)، تفسير الماتريدي, محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: 333هـ). تحقيق: د. مجدي باسلوم, ط1، دار الكتب العلمية, بيروت، لبنان.
- مجموعة من العلماء،(1973م)، الوسيط للقرآن الكريم, بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر, ط1، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
- المظهري، (1992م)، التفسير المظهري, محمد ثناء الله, تحقيق: غلام نبي التونسي, مكتبة الرشدية, الباكستان.
- النسفي ،(2005م)، تفسير النسفى, أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود, تحقيق: مروان محمد الشعار دار النفائس, بيروت.
- النعماني ، اللباب في علوم الكتاب, أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت: 775هـ), تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

- النيسابوري ، (1995م)، إيجاز البيان عن معاني القرآن, محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت: نحو 550هـ), تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت.
- النيسابوري ، (1996م)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان, نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت: 850هـ), تحقيق:الشيخ زكريا عميرات, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت.
- النيسابوري ، (2002م)، تفسير القرآن(تفسير ابن المنذر), أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت: 319هـ), عبد الله بن عبد المحسن التركي, سعد بن محمد السعد, ط1, دار المآثر, المدينة النبوية.
- النيسابوري،(2002م)، كتاب تفسير القرآن, أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر(ت: 319هـ), تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي, سعد بن محمد السعد,ط1, دار المآثر, المدينة النبوية.
- اليمني ،(1994)، فتح القدير, محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت: 1250هـ), دار ابن كثير، دار الكلم الطيب, دمشق، بيروت, ط1, - 1414هـ.